Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثقافتنا، لكن الذى أُخِذ عليهم ماكانوا يعتقدونه، أو يعتقده عامتهم، من أن كل ظاهرة يمكن أن تعلل، وأن العرب كانوا يقيسون فى كلامهم، أو يشبهون بعض الكلم ببعض(١)، وكأن النطق الانسانى وثيق الصلة بالمنطق العقلى.

العلة وجهة نظر :

وقد فتح الخليل بن أحمد الباب على مصراعيه للنظر فى اللغة وتوجيهها، وذلك عندما قال: «فإن سنح لغيرى علةٌ لما عللته من النحو، هى أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها»(٢). وجاء سيبويه فحفَل كتابه بالعلة، بيد أنه لم يعن بتعليل كل ظاهرة، وقد كان لقوله: «وليس شىء يضطرون إليه، إلا وهم يحاولون به وجها(٣)» أثره البالغ فى إقدام النحويين على التوجيه والتعليل، وقد عدّه ابن جنى أصلا للبحث عن علل ما استكرهوا عليه(٤)، فإذا كانوا يتوخَّون الحكمة وضرورةُ النظم تميلُ بهم، فلا شك أنهم يَصدُرون عنها فى كلامهم وحيث لاتكون هذه الضرورة.

وانطلق النحاة فى ميدان النظر يبتكرون من العلل الجديد، ويستدركون على من تقدمهم، عملاً بالأصل الذى قَدّمه الخليل، وكان من كلمات ابن جنى: «فإنْ قلت: إن هذا ليس مرفوعا إلى العرب، ولامحكيا عنها أنها رأته مذهبا، وإنما هو شىء رآه سيبويه واعتقده قولا، ولسنا نقلد سيبويه ولا غيره فى هذه العلة ولاغيرها. . .(٥)»، وقال ابن الطراوة مقالتَه التى ذكرناها آنفا: «ولاتثريب علينا

---

(١) ينظر دراسات فى العربية وتاريخها ٢٧، ٤٩ والخصائص ١/٢٣٧.

(٢) الايضاح فى علل النحو للزجاجى ٦٦.

(٣) الكتاب ١/١٣.

(٤) الخصائص ١/٥٣، ٥٤.

(٥) الخصائص ١/٢٩٨.